وفي حزيران ١٩٣٨ قررت القيادة البريطانية تكليف العناصر اليهودية هذه بحماية خطوط السكة الحديدية بين حيفا واللد التي نسفها الثوار العرب مرارا ، وقد أرسلت ٤٣٤ عنصرا لتنفيذ هذه المهمة، الا أنه بعد ستة شهور فقط نجح رجال الوكالة اليهودية في رفع هذا العدد الى ٨٠٠ . ان هذا التطور لم يخدم فقط عملية بناء القوة الصهيونية العسكرية ، بل ساعد ايضا على امتصاص وتوظيف اعداد كبيرة من العمال اليهود العاطلين عن العمل والذين كانت اعدادهم تتزايد باضطراد في المدن ، وهكذا جرى تحويل هذه البروليتاريا نحو العمل في مؤسسات القمع ، ليس فقط في مشاريع الامن البريطانية المضادة للثورة ولكن ايضا في القوة العسكرية الصهيونية الصاعدة .

كانت أسس الجهاز العسكري الصهيوني ترسى برعاية البريطانيين ، واذا كانت القوة اليهودية قد كلفت بحماية خطوط السكة الحديدية بين حيفا واللد ، فقد جرى تكليفها بحماية خط انابيب النفط في سهل بيسان ، الذي كان قد بني حديثا (١٩٣٤) لنقل الزيت من كركوك الى حيفا والذي نسفه الثوار العرب عدة مرات . ولعل قيمة ذلك بالذات، حنا ، قيمة رمزية مثيرة للدهشة : ان الثوار العرب الذين أدركوا قيمة هذا النفط بالنسبة للمستغل البريطاني قد نسفوا الانبوب لاول مرة في ١٥ تموز ١٩٣٦ قرب اربد ، وبعد ذلك جرى نسفه عدة مرات قرب قرية كوكب الهوا ومحطة اسرائيل واكسال وبين العفولة وبيسان ، وفي تل عدس ، والبيرة ، وارض المرج ، وتمرة ، وكفر مصر ، وجسر المجامع ، وجنجار وبيسان وعين دور . وقد عجز البريطانيون عن حماية هذا الخط الحيوي واعترفوا بهذا العجز عدة مرات ، وفي الوقت نفسه دخلت « الماسورة » كما كان يسميها الفلاحون العرب في صلب الفولكلور الذي يمجد البطولات الشعبية .

وعلى أي حال ، فقد توصل البريطانيون الى تأمين حد أدنى من الحماية للانابيب هذه عن طريقين : اعطوا لعصابات اليهود مهمة حمايتها في الداخل ، اما في الاراضي الاردنية فقد أوكلوا مهمة حراستها الى « الشيخ تركي بن زين ، رئيس فخذ الزين من عشيرة بني صخر ، وقد خولته الشركة حق التجوال في الصحراء بأية واسطة كانت »(١٠٩).

ان هذا الامر مهم للغاية ، ذلك ان هذا الحادث بالذات عزز القناعات البريطانية بأن انشاء قوة ضاربة يهودية يحل الكثير من الاشكالات بالنسبة لحماية المصالح الامبريالية عموما . ان بن غوريون يكاد يكشف هذه الحقيقة بمباشرة لا حد لها حين يتحدث عن الجهد البريطاني في انشاء قوة يهودية مسلحة مهمتها حماية هذه المصالح . وفي هذا المجال لعب الضابط البريطاني شارلز اورد وينغيت دورا بارزا في ترجمة التحالف البريطاني ـ الصهيوني الى واقع عملي ، وبالرغم من ان المؤرخين الصهاينة يحاولون الايحاء وكأن جهد وينغيت كان نتيجة مزاج شخصي وولاء « مثالي » ، الا انه من الواضح ان ضابط الاستخبارات هذا ، الذي ارسله رؤساؤه الى حيفا في خريف ١٩٣٧ ، كان مكلفا بمهمة محددة وهي انشاء النواة الضاربة للقوة اليهودية المسلحة التي كانت موجودة قبل ذلك بستة شهور على الاقل ولكن التي كانت تحتاج الى بلورة واعداد . وقد جعل هذا الضابط البريطاني ، الذي يعتبره العسكريون الاسرائيليون المؤسس الفعلي للجيش الاسرائيلي ، مسألة حماية انبوب النفط همه الاساسي . الا ان هذه المهمة كانت مدخلا لسلسلة عمليات ارهاب وقتل اخذ هذا الضابط على عاتقه مهمة تعليم تلامذته في عين دور ـ ومن بينهم دايان ـ اجادتها . ولا شك ان وينغيت كان يتسلح بالاضافة لكفاءته كضابط استعماري متمرس، بكراهية عنصرية غير محدودة للعرب ، ويبدو من سيرة حياته كما أرخها الذين عملوا معه انه كان يجد متعة في قتل الفلاحين العرب او تعذيبهم او ممارسة اي شكل من اشكال الاحتقار لهم(١١٠). وتؤكد دراسة لاميل توما عن كتاب ليجال آلون حول هذا الموضوع ان وينغيت وشرائه كانوا يساعدون القوات البريطانية على ارهاب السكان العرب في الريف خلال ثورة ٣٦ ـ ١٩٣٩ . وبواسطة رجال مستعمرين من طراز وينغيت ، وقادة رجعيين من طراز الامير عبدالله وافراد طبقته الحاكمة ، كان البريطانيون يهيئون للحركة الصهيونية فرصة ان تصبح عسكريا واقتصاديا المخفر الامامي الذي يحمي مصالحهم ، وكان ذلك كله يجري من خلال قناعة هؤلاء جميعا بأن قيادة الحركة الوطنية الفلسطينية ليست في حالة من الثورية تؤهلها للوقوف في وجه هؤلاء الاعداء المتكاتفين . لقد اهتدى البريطانيون في وقت مبكر الى الاستراتيجية التي اطلق عليها الاميركيون بعد ذلك بثلاثين سنة اسم « الفيتنمة » . ووسط